تفسير كلّ آية بجملة

﴿٢٦٠﴾ واذكر كذلك قصّة إبراهيم عليه السلام، إذ قال إبراهيم عليه السلام: ربّ أرني كيفيّة إحياء الموتى، فسأله ربّه عن إيمانه بإحياء الموتى ليجيب عليه السّلام بما يزيل كلّ الشّكّ في إيمانه، فقال الله له: أو لم تؤمن بإحياء الموتى؟ قال عليه السلام: إنّي آمنت ولكنّي طلبت ذلك ليزداد اطمئنان قلبي، فقال جلّ جلاله: فخذ أربعة من الطّير الحيّ فضمّها إليك لتعرفهنّ جيّدًا، ثمّ جزّئهنّ بعد ذبحهنّ، واجعل على كلّ جبل من الجبال المجاورة جزءًا منهنّ، ثمّ نادهنّ فسيأتينك ساعيات وفيهنّ الحياة كما هي، واعلم أنّ الله لا يعجز عن شيء، وهو ذو حكمة بالغة في كلّ أمر.

﴿٢٦١﴾ إنّ حال الذين يبذلون أموالهم في طاعة الله ووجوه الخير، وينالون على ذلك ثواب الله المضاعف أضعافًا كثيرة، كحال من يبذر حبّة في الأرض طيّبة فتنبت منها شجيرة فيها سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبّة، وهذا تصوير لكثرة ما يعطيه الله من جزاء على الإنفاق في الدّنيا، والله يضاعف عطاءه لمن يشاء فهو واسع الفضل، عليم بمن يستحقّ وبمن لا يستحقّ.

﴿٢٦٢﴾ إنّ الذين ينفقون أموالهم في وجوه البرّ المشروعة دون مَنٍّ أو تفاخر أو تطاول على المُحسَن إليه، لهم أجرهم العظيم الموعود به عند ربّهم، ولا يصيبهم خوف من شيء ولا حزن على شيء.

﴿٢٦٣﴾ قولٌ تطيب به النّفوس وتستر معه حال الفقير فلا تذكره لغيره، خيرٌ من عطاء يتبعه إيذاء بالقول أو الفعل، والله جلّ جلاله غنيّ عن كلّ عطاء مصحوب بالأذى، ويمكّن الفقراء من الرّزق الطيّب، ولا يعجّل بعقوبته من لا يعطي رجاء أن يهتدي إلى العطاء.

﴿٢٦٤﴾ لا تضيّعوا ثواب صدقاتكم- أيّها المؤمنون- بإظهار فضلكم على المحتاجين وإيذائهم فتكونوا كالذين ينفقون أموالهم بدافع الرّغبة في الشّهرة وحبّ الثّناء من النّاس، وهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فإنّ حال المرائي في نفقته كحال حجر أملس عليه تراب، هطل عليه مطر شديد فأزال ما عليه من تراب. فكما أنّ المطر الغزير يزيل التّراب الخصب المنتج من الحجر الأملس، فكذلك المنّ والأذى والرّياء تبطل ثواب الصّدقات... فلا ينتفع المنتفعون بشيء منها، وتلك صفات الكفّار فتجنّبوها، لأنّ الله لا يوفّق الكافرين إلى الخير والإرشاد.

الآية ٢٦٠

طلب التّرقّي في مقامات اليقين عند سيّدنا إبراهيم عليه السّلام

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ .

المعنى العام

يقول الحقّ ﷻ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ أي: واذكر يا محمّد، أو أيّها السّامع، حين قال إبراهيم عليه السلام: يا ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ أي أبصرني كيفيّة إحياء الموتى، حتّى أرى ذلك عيانًا، أراد عليه السلام أن ينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين، وقيل: لمّا قال للنّمرود: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ قال له: هل عاينت ذلك؟ فلم يقدر أن يقول: نعم، وانتقل إلى حجّة أخرى، ثمّ سأل ربّه أن يريه ذلك ليطمئنّ قلبه على الجواب، إن سئل مرّة أخرى، فأجابه الحقّ ﷻ: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ بأنّي قادر على الإحياء بإعادة التّركيب والحياة؟ وإنّما قال له ذلك، مع علمه بتحقيق إيمانه ليجيبه بما أجاب فيعلم السّامعون غرضه، ﴿قَالَ بَلَى﴾ آمنت إنّك على كلّ شيء قدير، ﴿وَلَكِنْ﴾ سألتك ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ إذ ليس الخبر كالعيان، وليس علم اليقين كعين اليقين، فأراد إبراهيم عليه السلام أن يضمّ الشّهود والعيان إلى الوحي والبرهان.

وقد طلب سيّدنا إبراهيم عليه السلام زيادة الإيمان من الله تعالى حين قال في الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾.

فقال أنا مُؤمنٌ يا ربّ، ولكنّي أُريد أن أنتقل من إيمانٍ غَيْبِيٍّ إلى إيمانٍ شُهودِيٍّ وأريد أن أشهد أن لا إله إلّا الله، كما في الآية: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1]

فأولو العلم انتقلوا من إيمان غيبي إلى إيمان شهودي. لذلك طلب سيّدُنا إبراهيمُ من الله تعالى أنْ يُرِيَهُ كيف يحيي الموتى ليطمئنَّ قلبُه. والقلب المُطمئن هو القلب الذي انتقل من مرحلة الغيب إلى مرحلة الشّهود، وهي المرحلة التي يجب علينا السَّعيُ إليها والشّاهِدُ هُنا أنّه يجب أن نسعى لنكون من أهل الشُّهود ومن أهل اليقين ومن أهل عين اليقين حتّى نتحقق ونتعلّق باسم الله **المؤمن**.

قال له الحقّ ﷻ: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ اي: طاووسًا وديكًا وغرابًا وحمامة، ومنهم من ذكر النّسر بدل الحمام، وروي غير ذلك، وعلى كلٍّ، فإنَّ المقصود أربعة من الطّير متنوعة.

وإنّما خصَّ الطّير بذلك لسهولة ما يُفعل بها من التّجزئة والتّوزيع، والتّفرقة على الجبال، ولما فيها من مَزيد قابليّة تفرّق أجزاءها من الرّيش ونحوه، ففي جمعها وإعادتها وإحيائها مَزيد ظهور لقدرته سبحانه.

(١) سورة آل عمران، الآية رقم: ١٨

﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي اضممهنّ إليك لتتأمّلها وتعرف أشكالها، لئلّا يلتبس عليك بعد الإحياء أشكالها، ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ أي ثمّ جزئهنّ، وفرّق أجزاءهنّ على الجبال التي تحضرك. قيل: كانت أربعة جبال وقيل: سبعة، ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ وقل لهنّ: تعالين بإذن الله ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ أي ساعيات مسرعات في العَدْوِ والعودة إليك.

روي أنّه أمر أن يذبحها وينتف ريشها، ويقطّعها ويخلط بعضها ببعض، ويوزّعها على الجبال، ويمسك رؤوسها عنده، ثمّ يناديها، ففعل ذلك، فجعل كلّ جزء يطير إلى الآخر ويلتئم بصاحبه حتّى صارت جثثًا، ثمّ أقبل إليهم فأعطى كلّ طير رأسه فطار في الهواء. والحكمة في سعي الطّيور إليه مَشْيًا دون الطّيران إليه هي: أنّها لو طارت لتوهّم متوهّم أنّها غير تلك الطيور الميتة التي ذبحها وفرّقها، أو أنّ بعض أرجلها غير سليمة، ولهذا قال سبحانه: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ فسبحان من لا يعجزه شيء، ولا يغيب عن علمه شيء، ثمّ نبّه تعالى إلى التّفكّر في عجائب قدرته وحكمته، فقال ﷻ: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعجزه شيء، ولا يُرى سبحانه في الدّنيا ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعل ويذر، ويضع الأشياء في مواضعها.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآية:

١. الحثّ على طلب المؤمن أن ينقله الله تعالى من علم اليقين الى عين اليقين.

٢. صاحب النّفس المطمئنّة تُصرف عنه خواطر الشّكوك والظّنون والأوهام.

٣. كان سيّدنا إبراهيم عليه السلام في طلب زيادة اليقين، فأراد أن يقرن حقّ اليقين بما كان له حاصلًا من عين اليقين. فسيّدنا إبراهيم كان عنده عين اليقين فأراد أن يرتقي الى حقّ اليقين.

٤. وقيل استجلب خطابه بهذه المقالة إلى قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ كنت أومن ولكنّي اشتقتُ إلى قولك لي: أَوَلم تؤمن، فإنّ بقولك لي: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ تطمينًا لقلبي. والمحبُّ أبدًا يجتهد في أن يجد خطاب حبيبه على أيّ وجه أمكنه.

٥. قيل إنّما طلب حياة قلبه فأُشير إليه بأنّ ذلك يتحقّق بذبح هذه الطّيور، وفي الطّيور الأربعة طاووس، والإشارة إلى ذبحه تعني زينة الدّنيا وزهرتها، والغراب لحِرْصِه، والدّيك لمشيته، والحمام لطلبه لرزقه.

٦. عين اليقين يعني أن ترى بعينيّ قلبك. وحقّ اليقين أرقى من عين اليقين وهو أن تخوض التّجربة. فمثلًا من لم يذهب إلى مكّة من قبل، عنده علم اليقين بوجود الكعبة لتواتر من أخبره بأنّه رآها. فعندما يسافر إلى مكّة ويرى الكعبة بعينيّ رأسه للمرّة الأولى، يصبح علمه بوجود الكعبة عين يقين. وهنا يشعر بشعور مختلف عن الإيمان الغيبي المسمّى علم اليقين, فإذا طاف بالبيت وقبّل الحجر الأسود والتزم بالملتزم ودعا الله تعالى هناك وناجاه، وصل إلى حقّ اليقين.

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

٧. يقال إنّ إبراهيم أراد إحياء القلب بنور الوصلة بحكم التّمام، فقيل له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ يعني أما تذكر حال طلبك إيّانا حين كنت تقول لكلّ شيء رأيته ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[١] فلم تَدْرِ كيف بَلَّغْنَاكَ إلى هذه الغاية، فكذلك يوصلك إلى ما سَمَتْ إليه هِمَّتُك. والإشارة من هذا أنّ حياة القلب لا تكون إلا بذبح هذه الأشياء يعني النّفس؛ فَمَنْ لم يذبح نفسه بالمجاهدات لم يَحْيَ قلبُه بالله.

٨. ولاية الله تعالى لسيّدنا إبراهيم عليه السلام، حيث أراه من آياته ما اطمأنّ به قلبه وسكنت له نفسه.

٩. ثبوت عقيدة الحياة الثّانية ببعث الخلائق أحياء للحساب والجزاء، وأنّ البعث يكون بالرّوح والجسد.

١٠. كيف يحيي الله الموتى ويجمع ما تفرّق منهم، ليعود الجسد كما كان: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾[٢].

من أسماء الله الحسنى: العزيز الحكيم

في الأمر والنّهي

في الأخلاق والآداب

التّخلّق باسم الله العزيز:

- هو بأن ترفعَ همّتكَ عن الخَلْقِ وتعتمدَ على العزيز الحقّ فلا تطلب العزّة إلّا منه. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[٣].
- من أرادَ عزًّا لا يفنى فلا يستعزَّنَّ بعزٍّ يفنى.
- من تعزّزَ بمخلوق زال عزُّه.
- التّخلّق باسم الله العزيز هو علاج لمرض خطير، ألا هو الشّعور بالنّقص الذي قد يكون بسبب عاهة جسديّة أو وضع إجتماعي أو فقر... فيصبح عندك ضعف بالشّخصيّة فتجد أنّ النّاس تنظر لك نظرة دونية، لذا كان التّخلّق بهذا الاسم ينفي هذا الأمر تمامًا، لأنّ عزّتك تأخذها من الله عزّ وجلّ وليس من نظر النّاس وتقييمهم لك.

التّخلّق باسم الله الحكيم:

- بأن تكون حكيمًا في أقوالك وأفعالك، وجميع أمورك.
- بأن تَنظُرَ في عواقِبِ الأُمورِ، وأنَّكَ إذا كَرَّرْتَ ما فَعَلَهُ غيرُكَ فستُواجِهُ النّتيجَةَ نفسَها الّتي واجَهَها غيرك. فانظُرْ: أينَ وَكيفَ نَجَحَ الآخرونَ لِتَنْجَحَ؛ ثمّ انْظُر: ما هي أسبابُ فَشَلِ الآخرينَ أو تعثُّرِهم لِتَتَجَنَّبَهُ.
- بأن تتّبع الحكم في القرآن والسُّنة وتتعلّم منها.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٦. (٢) سورة ق، الآية: ٤. (٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

في السّلوك

الإشارة: من أراد أن تحيا رُوحُه الحياة الأبديّة، وينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين، فلا بدّ أن تموت نفسه أربع موتات:

الأولى: تموت عن حبّ الشّهوات والزّخارف الدّنيويّة، التي هي صفة الطّاووس.

الثّانية: عن الصّولة والقوى النّفسانيّة، التي هي صفة الدّيك.

الثّالثة: عن خسّة النّفس والدّناءة وأن تشتهي ما عند الآخرين وبُعد الأمل، التي هي صفة الغراب.

الرّابعة: عن التّرفّع والأنفة والمسارعة إلى الهوى المتّصف بها الحمام.

فإذا ذبح العبد نفسه عن هذه الخصال حيّيتْ روحه، وتهذّبت نفسه، فصارت طوع يده، كلّما دعاها إلى طاعة أتت إليها مسرعة ساعية.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

- عن زيد بن أرقم رضي الله عنه: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كما كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يقولُ؛ كانَ يقولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بكَ مِنَ العَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَن زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا»[1].
- **الدَّعوات العَشْر**: اللَّهُمَّ إنّي أسألك إيمانًا دائمًا، وأسألك قلبًا خاشعًا، وأسألُك علمًا نافعًا، وأسألك يقينًا صادقًا، وأسألك دينًا قيّمًا، وأسألك العافيةَ من كل بَلِيَّةٍ، وأسألُكَ تَمامَ العَافِيَةِ، وأسألُكَ دوامَ العافِيَةِ، وأسألُكَ الشُّكْرَ على العَافِيَةِ، وأسألُكَ الغِنَى عن النّاس.
- **دُعاءُ النَّفس المُطْمَئِنّة**: اللَّهُمَّ هَبْ لنا نُفوسًا مُطْمَئِنَة تُؤْمِن بِلِقائِك وتَرْضى بِقَضائِكَ وتَقْنَع بعَطائك وتُديمُ شُكْرَ نَعْمائِكَ واجعَلنا من خيرَةِ أحْبّائِكَ وأوليائِكَ ومن أنْفَعِ عِبادِكَ لِعِبادِكَ في حياتنا وبعد ماتنا بِيُسْرٍ ولُطْفٍ وعافِية.

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن زيد بن أرقم، حديث رقم: ٢٧٢٢، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عُمل ومن شر ما لم يُعمل.